

خيبر ومدائن صالح والخُرَيْبَة

Khyber, Madaain Saleh and Al-Khuraibah

د/ خورشيد الرضوي⁽¹⁾، نقل إلى العربية: عمر فاروق⁽²⁾

Abstract

Dr. Khurshid Rizvi travelled to K.S.A. in 2009 and his sole purpose that time was to visit ruins and remnants of the historic nations lived in the Arabian Peninsula. He went to *Khyber, Madaain Saleh* and *Al-Khuraibah*. He wrote the story of his travel and findings in the monthly Urdu magazine *Al-Hamra* (127-128, February-March, 2014, Lahore). Here we'll be presenting his article in Arabic. He discusses different opinions of the travelers, and sums up that *Madaain Saleh* maybe called after a person from Abbasid period, *Saleh*, whose name was given to a new city in the South of *Al-'Ula'*, and later they forgot the origin and called *Hijr Madaain, Madaain Saleh*. The actual location where *Thamud* lived and met their doomsday on the earth could be *Al-Khuraibah* where the prophet Muhammad (P.B.U.H.) ordered his followers to pass quickly so they might not be the victims of God's wrath like *Thamud*. While, *Madaain Saleh* had been abodes for some people and cemetery for others. Most probably, the carved out homes in the mountains were their graves and wiped out houses they built in the valley were their living place, as the **Quran** asserts: Thou take plains for (erecting thy) palaces, and carve out chambers in the mountains (as well). (7:74)

Keywords: Archeology, History of Arabian Peninsula, *Thamud, Nebtean, Madaain Saleh, Khuraibah (El-Khreyby), Khyber*.

ملخص

سافر الأستاذ الدكتور خورشيد الرضوي إلى المملكة العربية السعودية عام 2009م. كان الهدف من سفره هذه المرة زيارة آثار الأمم القديمة التي تواجدت في الجزيرة العربية في القرون الخالية. فذهب إلى خيبر ومدائن صالح والحُرَيبَة. ونشر حولها مقالا بالأردنية في مجلة *المحرم* الشهرية الصادرة في لاهور (العدد 127-128، فبراير ومارس عام 2014م). نقدم هنا حصيلة سفره البحثي العلمي بالعربية: بميل كثير من الباحثين إلى أن مدائن صالح حجر للنبتين. وخالف آخرون بقولهم إنها لثمود. وقال بعضهم إنها كانت مساكن لثمود أولا، ثم جاء النبطيون وجعلوها مقابر. وبعد زيارة الآثار المدائنية والأخرى المحيطة بها قريبا وبعدا وملاحظتها بدقة، قال الدكتور خورشيد الرضوي بإمكانية كون خُرَيبَة العلاء مسكنا لثمود الذين ذكرهم القرآن وأنزل الله عليهم العذاب، وحيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأن يمروا بها بسرعة كي لا يصيبهم ما أصاب ثمود. وأما مدائن صالح فكانت بعضها مساكن والبعض الآخر قبورا كما يظهر للرائي المدقق. بل من المحتمل جدا أنهم نحتوا الجبال لدفن الموتى، واتخذوا السطح لبناء القصور للسكنى كما أشار إليه القرآن (7:74). والذي يمكن القول به هو أن المنطقة المعزوة إلى النبي صالح عليه السلام، هي أصلا منتسبة إلى شخصية بارزة في عهد العباسيين اسمها صالح، وقد نسبوا إليه مدينة جديدة عمروها في جنوب العلاء، والتي كانت معمورة حتى المائة الرابعة الهجرية. وبعدها التبس الأمر على الناس وسموا منطقة الحجر مدائن صالح

.....

سافرنا إلى المملكة العربية السعودية عام 2009م. وصلنا إلى جدة ومنها ذهبنا إلى المدينة المنورة أولا، حيث تأهبنا للمزيد من السفر إلى خيبر، ثم إلى مدائن صالح فالخرَيبَة. فهو سفر بحثي علمي سوف نورد تفصيله فيما يأتي من المقال.

تقع مدينة خيبر على مسافة مائة وخمسة وسبعين كلو مترا على وجه التقريب من مدينة النبي. الطريق ممهد، والسفر عليه سهل مريح. خيبر الجديدة مدينة صغيرة مبنية على طراز المدن الحديثة. أما خيبر القديمة فهي على مقربة منها، إلا أنها ممنوعة الدخول لعامة الناس. فالذهاب إليها أمر ذو خطر. لكننا كنا ذوي إرادة قوية وعاطفة جذابة، فلم ننته من سؤال الناس عن الطريق إلى خيبر القديمة حتى أمكننا الاطلاع عليه بتفاصيل. فوصلنا إلى هذا المكان الخراب البياب. وما كنا نخاف على أنفسنا إلا من دورية الشرطة.

عليه فلم يكن عندنا متسع من الوقت، فمررنا بتلك القرية الخربة على عجل، وألقينا نظرة سريعة على الأزقة المعطلة المهجورة والمنازل المحطمة المكسورة، واحتفظنا ما شاء الله أن نحفظ به في الكاميرا من لقطات هذا المكان.

واحاحات خيبر تشبه واحاحات المدينة المنورة. وكان زعماء اليهود اختاروا يثرب وخيبر بعد فكر وروية عندما جاؤوا ليعمروا قبائلهم في هذه المكان من الجزيرة العربية. وقد بنوا جدران بيوتهم بالحجارة غير السوية السوداء المتخللة بالطين والمتراصة واحدة على أخرى. (وتترأى هذه الجدران من بُعد كمحافظة البحيرة (Lake District) بإنجلترا). ومداخل البيوت ما تزال كما كانت، أي بالمصراعين وبالعضادة الخشبية. وقد تحطمت الجدران من بيت لآخر، كما أن جذوع النخل المقطوعة كانت مبعثرة هنا وهناك وتبدو كأسطوانات بجانب واحاحات النخيل. وكذلك رأينا أعمدة الكهرباء المدورة من نوع قديم وهي مزودة بدعامات من الأحبال القوية المفتلة. والسقوف الساقطة تشير بوضوح إلى أنها اتخذت من القش والخوص وغمي بالطين. ونجدها الآن متدلّية من السقف أو متناثرة هنا وهناك. وتبدو المزاريب القديمة بارزة في الأزقة من على السطح. وقد نجد بعض البيوت ذات طابق أو طابقين محتفظة كما كانت بنوافذها وتجاويفها. والبنائيات الساقطة تتكشف من الأمام عما تحفظه الحيطان في الجزء الخلفي من محاريب داخلها. فمن الواضح أن خيبر القديمة هذه لم تكن خيبر العرب القدامى، إلا أنه يمكن القول بكون هذا القديم الموجود يشبه عن قرب التليد العريق.

كان هناك حصن يُرى من بعيد كمركب كبير موضوعا على قمة أحد الجبال. وهو حصن مرحب المنيع، إحدى أقوى القلاع لليهود في خيبر، وقد فتحها المسلمون بعد جهد جهيد على يد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). تقع هذه القلعة داخل إحدى واحاحات خيبر، وبسبب وضعها الطبيعي على قمة الجبل لا يمكن الوصول إليها بسهولة حتى في أيامنا هذه. وهذا يؤدي إلى القول بكون حصن مرحب واقعا على أساسه القديم. وإذا كان ذلك، فخيبر القديمة ليست بمترامية الحدود، وإنما هي مدينة متقاربة

الوقوع في قراها وقلاعها.

ثم أخذنا في السفر إلى مدينة العلاء التي تقع مدائن صالح في الأراضي التابعة لها. وكانت هناك بعض الأسئلة نشأت لدي قبل ذلك، وبدأت الآن تطرح نفسها وتلح علي عن هذه الآثار. فكان لا بد لي من أن أذهب إلى مدائن صالح شخصياً وأرى بعيني رأسي ما هو عليه الأمر هناك. وقد حدا بي على السفر إلى مدائن صالح ذهابي إلى البتراء كذلك قبل أشهر في نفس السنة. وبما أننا قد حصلنا على تأشيرة زيارة، لذا أمكننا أن نسافر إلى أي مكان في المملكة العربية السعودية، غير أن زيارة مدائن صالح تطلبت رخصة خاصة أخذناها مسبقاً.

تقع العلاء على مسافة مائتين و عشرة كيلومترات فاصلةً بينها وبين خيبر. وقد رصفوا الطريق بين المدينتين. وما عدا هذا الطريق فإن الصحراء تبدو ممتدة منبسطة كما كانت على مر القرون. لا نرى على جانبي الطريق إلا الصحراء الجرداء القفرة. ومرور الناس على هذا الطريق قليل جداً حيث لم نلاحظ ما عدا مركبة أو مركبتين خلال السفر على طول الطريق السوي المرصوف. وقد رأينا الجمال ماشية في بعض الأماكن من الصحراء، الأمر الذي استوجب الحذر، إذ إنها قد تسبب حادثاً مرورياً إذا جاءت فجأة أمام السيارة وهي منطلقة بسرعة عالية. ولا يمكن أن تجد عُمرانا في هذه المنطقة من الجزيرة العربية، إلا أنها كانت هناك خيام بيض أقيمت في الكثير من الأماكن، وكانت - كما بدت لنا - للبحث عن النفط أو لمسح الأراضي. وفي مكان آخر نصبوا مخيماً وآلات لم نعرف نوعها. وبعد ذلك بقليل رأينا لوحاً منصوباً من قبل الحكومة كتبوا عليه إعلاناً بأنها منطقة عواصف الرمال. وقد مرت سيارتنا من ضمن أحد تيارات هذه العاصفة، حيث ما إن تقدمنا قليلاً إذ رأينا الرمل مرتفعاً في الفضاء كدثار يغطي الأفق أمامنا. ولا يمكن أن نلمس شدة العاصفة وحدتها إلا إذا فتحنا نافذة السيارة. وهذه هي نفس المنطقة التي مشى في أراضيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائداً جيشاً كبيراً في حر الصيف للوصول إلى تبوك⁽³⁾. وقد شعرنا في أعماق أنفسنا، ونحن نمر في صحراء هذه

المنطقة، بأنه كم كان عزم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ماضيا وكم كانت إرادة الذين آمنوا به قوية، حيث لم يلقوا بالا للطقس ولا للمسافة، وانطلقوا لغايتهم كما أمرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم). هذه الأحاسيس والمشاعر التي مرت بوجداننا، لا تمر ببال الذين قرأوا الوقائع في كتب التاريخ ولم يذهبوا إلى مكان حدوثها.

كانت مغيراء⁽⁴⁾ أول قرية في طريقنا إلى العلاء. وبعدها رأينا واحة خضراء. أما الجبال في الطريق فكانت قحلة مروعة. وصلنا إلى العلاء ونزلنا بفندق مدائن صالح الذي لم نر فيه رونق النزلاء ولا بهاء الجو وانبساط الفضاء. وذلك لأن الناس لا يأتون إلى هذا المكان إلا قليلا، بسبب المسافة الطويلة المديدة. وقد علمنا أنهم سوف ينشئون مطارا في العلاء، ويصبح السفر سهلا مريحا. على كل، أكلنا وصلينا وخرجنا لمدائن صالح.

أول ما قابلني فيما يتعلق بالمعرفة بمدائن صالح هو تاليف الأستاذ نيكولسون⁽⁵⁾ *A Literary History of the Arabs* الذي قرأته ضمن كتب أخرى عن الأدب العربي حوالي سنة 1970م حين تبنيت مشروع تاليف عن تاريخ الأدب العربي القديم. قال نيكولسون في مؤلفه ضمن حديثه عن عاد وشمود إن الذي جاء في القرآن من بيان حول شعب عاد بأنهم جابوا الصخر بالواد وبنوا بيوتهم في الجبال، إنما هو أمر يناقض الواقع لكون الحجرات المنحوتة في جبال مدائن صالح قبورا وليست بيوت، بدليل ما هو مكتوب على لوحات في واجهاتها⁽⁶⁾. هذا التعليق السريع - الذي لم يكن ليبدو صادقا على ما قرأته فيما بعد حول الموضوع - حثني على التوفر على المزيد من المعلومات حول هذا الأمر. فبدأت أقرأ تشارلز داوتي في كتابه الذي اتكأ عليه نيكولسون في رأيه.

أما تشارلز داوتي (C.M. Doughty 1843-1926) فهو رحالة وكاتب بريطاني مولع بزيارة الآثار والعاديات. ذهب إلى البتراء وألقى نظرة فاحصة على الآثار، وعلم بأن مدائن صالح تنطوي على آثار تشبه ما رآه في البتراء، فاندس في قافلة ذاهبة

لأداء الحج في سنة 1876م، وأقام مدة بين ظهراي البدو ليتمكنه ملاحظة الآثار كما يجب. وبما أن الكاميرا لم يكن قد اخترع بعد، فبذل نفسه في رسم صور العمارات بيده، كما نقل على الورق ما هو مكتوب على لوحات الواجيات. ثم أرسل هذه الرسوم والكتابات إلى عالم فرنسي شهير رينان⁽⁷⁾ الذي ترجمها إلى الفرنسية وأشار إلى كون المنحوتات قبورا نبطية، وأن التواريخ فيها تصل إلى ثمانين عاما من بداية السنة الميلادية، في حين زمن النبي صالح (عليه السلام) يتقدم على النبي عيسى (عليه السلام) بخمسة سنة تقريبا. نُشر كتاب داوتي *Travels in Arabia Deserta* عام 1888م في مجلدين ضخمين، ويتضمن رسوما للعمارات وشكلا للكتابات وترجمتها إلى الفرنسية، بالإضافة إلى ملاحظات وتفصيل أخرى مفيدة وجدها أثناء رحلته. وخلال مطالعة هذا الكتاب رجعت إلى أستاذي الفاضل الدكتور ضياء الحق الصوفي⁽⁸⁾، والأستاذ أبو الأعلى المودودي السيد⁽⁹⁾، والدكتور عنایت الله الشيخ⁽¹⁰⁾، والدكتور محمد نصر الله إحسان إلهي الرانا⁽¹¹⁾.

كان الأستاذ أبو الأعلى المودودي زار كلا من البتراء ومدائن صالح، وفي رأيه "أن كلا النمطين (البتراوي والمدائني) يختلف بعضهما عن بعض في بنائياتهما اختلافا كبيرا، وأن العمارات الثمودية التي تحمل الآن الكتابات النبطية ليس بدليل أنها عمارات نبطية، فإنه ليس بمستبعد أن النبطيين أثبتوا لوحاتهم على واجيات العمارات الثمودية لما جاءت المنطقة تحت سيطرتهم". وكذلك رأى - ردا على موقف داوتي ونيكولسون - "أنه لم ير مظاهر تدل على كون مدائن صالح قبورا في البدء. أما وبعد مئات السنين حين احتل النبطيون المنطقة، فمن المحتمل أنهم جعلوا العمارات الثمودية مقبرة. لكن الآن ليس هناك شيء يشير إلى كونها قبورا".

أما الدكتور إحسان إلهي فقد زار مدائن صالح كذلك، ورأى - هو الآخر - أنها مساكن وليست قبورا، وكتب مقالات نُشرت في بعض المجلات العراقية والسعودية⁽¹²⁾، وضح فيها موقفه من العمارات المدائنية. ومما دافع به رأيه نقطتان

مهمتان: أولاهما أنه ما عدا الديوان وبيت الصانع، كل الحجرات المنحوتة الأخرى تشمل العضادات الحجرية، وأن هناك ثقيين اثنين بمساحة مربع بوصتين على كلا جانبي الباب من الداخل. وفي رأيه أنهم استخدموا لوحا خشبيا للباب، وسدوا الثقيين التحيتين بعضا خشبية ليتمكن إغلاقه. والذي يتبادر من إغلاق الباب من الداخل أنها غرف للسكنى وليست لدفن الموتى. والنقطة الثانية في رأيه أنهم كتبوا على لوحات الواجهات كلمة قصر وليس قبر، وأن الذين قرأوها قبرا هم وقعوا في اللبس، إذ كان الخط الآرامي المستخدم لهذه الكتابات لا يفرق كثيرا بين الباء والصاد في الكتابة. فقرأوها قبرا، في حين الكلمة هي قصر. ومجمل القول إن الدكتور إحسان إلهي يتفق مع الأستاذ المودودي في رأيه أن آثار مدائن صالح كانت مساكن للقوم الثمودي، وليست مقابر للنبطيين.

وفي رأي الدكتور عنایت الله أنه كان لداوتي "مجال محدود فيما يتعلق بسياحته واكتشافه الآثار، حيث لم يذهب هناك في البعثة الاستكشافية المنظمة. وإنما كان خاضعا في تنقلاته للبدو. فما رآه من تلك الآثار هي قبور من حيث ما هو مكتوب على الواجهات. ومن الممكن جدا أنه وُجدت في نفس المنطقة أو في حوالها آثار تحمل آيات الغرف السكنية، ولم يكن لداوتي نفوذ إليها، أو كانت قد اندثرت مع الزمن". وجوهر كلامه: "أن اكتشاف القبور لا يستلزم عدم وجود العمارات السكنية".

ثم قرأت تاريخ أرض القرآن للأستاذ سليمان الندوي⁽¹³⁾. فوجدت موقفه مختلفا كل الاختلاف عن جمهور المفسرين حيث قال بأن الذي ذكره القرآن من أصحاب الحجر هم ليسوا ثمود. وذلك لورود ذكر ثمود في ستة وعشرين موضعا في القرآن، ولم يدعهم القرآن أصحاب الحجر قط. فالمراد بأصحاب الحجر نبطيون وليس شعب ثمود. على ذلك فإن الآثار الحجرية بمدائن صالح - كما رأى - هي للأنباط الذين دعاهم القرآن أصحاب الحجر، وهم كذلك من الذين جابوا الصخر ونحتوا الحجرات.⁽¹⁴⁾ وقد أنزل الله عليهم عذابا لعدم إيمانهم بالرسول. والآن معظم العلماء السعوديين يرون هذا الرأي.

على كل، سواء اعتقدنا أن أصحاب الحجر وثمود قوم واحد أم لا، فإن القرآن ذكر أن كليهما كانا ينحطان في الجبال. وليس هناك تصريح في القرآن أن العمارة الفلانية جابها القوم الفلاني. والأمر كذلك فيما يتعلق بلفظة بيوت التي استخدمها القرآن للعمارات المنحوتة، وهي ليست تعني المساكن بالضرورة، وإنما تستعمل كلمة البيت بمعنى الخيمة والغرفة والمقصورة والمنزل أو فقط العمارة. ومما يدعو إلى التفكير آية من سورة الأعراف: (تتخذون من سهولها قصورا وتحتون الجبال بيوتا. 74:6). فما يتبادر من هذه الآية القرآنية أنهم أنشأوا بيوتا في سفح الجبال، تلك التي اندثرت بمرور الزمن، وبقي ما نحتوه في الجبال من حجرات، تلك التي ويميل الظن إلى أنها لم تكن للسكنى. (الحفريات التي أجريت في هذا الوادي سنة 2008م تشير إلى ما قلنا بما يتبادر من الآية المذكورة). ومجمل القول إن هذه الآثار - سكنية كانت أم قبورا، وتنتمي إلى أي قوم من الأقوام - فإن وضعها لا يتعارض مع أي آية من الآيات القرآنية. أما أن يبقى الأمر موضع بحث ومفتوحا للدراسة فذلك أمر آخر.

كنا خرجنا متأخرا في ذلك اليوم بحيث وجدنا الشمس تنعكس انعكاسها الفائض على صفحة الأرض، كما أصبحت الجبال ترينا عجائبها بجانب الشارع، وقد تركت عليها الطبيعة طابعا خاصا جعلها تبدو كعفاريت من الجن، كما أن كون الجبال تنطوي على غرابيب سود من الصخر، منضدة بعضها فوق بعض، يترأى للرائي كتنضيد الطوب الذي صار كحائط رفيع لحصن منيع. وبدت إحدى القمم المنعزلة قائمة في سمت الرأس كمنارة الديدبان. وقمة أخرى بالقرب من السابقة رأيناها كشرطي قائم مستعد حانيا طاقيته على الجبين. وفي مكان آخر وجدنا صخرة صغيرة نسبيا مستقرة على صخرة كبيرة ضخمة كأن أبا الهول يعوج عنقه ناظرا إلى الخلف. وفي بعض الأماكن كانت الجبال قد نحتها الطبيعة في شكل دائرة فيها حفر وأخاديد بسبب ما قد حصل مما فعلته الطبيعة نفسها من التغيير. وهذه الجبال تبدو في مجموعها كالإسفننج. وهي - في رأي الدكتور إحسان إلهي - صخور يسميها علماء طبقات

الأرض "الصخور البطنية السفلى في حقبة الحياة القديمة" (Lower Palaeozoic)
Clastic Rocks) التي تكونت هكذا بفضل تحجر التلال الرملية وهي تحت ضغط
عال من الماء باقيةً كذلك على ملايين السنين. وبسبب كون هذه الجبال ناقعة في الماء لمدة
مديدة حصل تجمد طبقات من المغنيسيوم والحديد على التلال المتحجرة وأصبحت هي
الأخرى حجرا كذلك. فهكذا استحالت الرمال والفلزات إلى الإسفنج والمرجان
الضخمين. والآن وقد ذهب البحر وترك وراءه هذه السلسلة من الجبال، نراها في شكل
امتزاجي من الهيبة والجمال، ربما لا نجد لها مثيلا في مكان آخر من المعمورة، ويأتي
السائح إلى هذا المكان منذ قديم وينظرون إليها بنظرة الاستعجاب والإعجاب.

يقابلنا عند بداية حدود مدائن صالح مركز للحراسة وباب من الحديد نصبوا
عليه لوحا كبيرا مكتوبا عليه بالعربية: الحجر (مدائن صالح) موقع مسجل في قائمة
التراث العالمي باليونيسكو، مع مدلوله الإنجليزي: Al-Hijir: (MadainSaleh), A
World Archaeological Heritage Site . كان اليونيسكو قد ضم هذه الآثار إلى
التراث العالمي سنة 2008م.

وبما أن الآثار المدائنية مترامية الحدود، فيسمحون سوق السيارات داخل
الحدود، إلا أنه لا يمكن تعدي الممرات المعينة خلال الآثار، كما أنه من اللازم أن يعود
السياح خارجين عند غروب الشمس. كل هذه التوصيات والإرشادات منصوص
عليها في اللوحة المنصوبة عند الباب من قبل اللجنة السعودية للآثار.

وبعد أن انتهينا من الإجراءات الرسمية حوالي الساعة الخامسة مساء، استعدنا
بالله ودخلنا مدائن صالح، وقد زدونا بخريطة غير واضحة مرسومة باليد. كان الجو
صامتا. وبعد طي قليل من المسافة بدأت الآثار تتراءى لنا، تلك التي كم بحثنا عنها في
الكتب وأعملنا الفكر حولها.

رأينا في البتراء أن الجبال يضرب لونها إلى الوردية، في حين لون الجبال في
مدائن صالح يضرب إلى الصفرة، خاصة حين رأيناها عند غروب الشمس. أما ما قاله

ابن بطوطة من أن جبال مدائن صالح لونها أحمر⁽¹⁵⁾ فهو ما لم نستطع أن نفهم. ربما كتب كلمة أصفر وأصبحت في مخطوطات كتابه أحمر بالتصحيح⁽¹⁶⁾.

قد أحاطت مصلحة السياحة والعاديات هذه الآثار المدائنية بسياج من الحديد، وأعطت لكل حجرة من الحجرات المنحوتة في الجبال رقما على حدة. وهذه الأرقام مكتوبة على قطع حديد مثبتة في الصخور بإحكام. وفي بعض الأماكن ذهبت الأبواب المزخرفة الخارجية أدراج رياح، وبقي في مكانها فراغ فاغر فاه للأمام. وفي أمكنة أخرى (رقم 109 مثلا) نرى الجزء العلوي من نحت الواجهة (Facade) باقيا كما كان، ونجد هناك مثلثين تكون كل منهما من خمسة أدراج (Crowsteps) على جانبي قمة الواجهة. وهناك كورنيشات منحوتة بغاية الجودة تحت ذلك، الأمر الذي يجعل آثار البتراء ومدائن صالح تتشابهان في بنائهما الراسي. أما دواخل الحجرات فهي عبارة عن جدران وصوانات لم نجد بها صفاء وجودة كالواجهات، وإنما كانت خشنة حرسية. وهناك الكثير من الأعماق الطوال (والمراد بها عرضها وليس العمق والطول) التي وُجدت في الجدران كصوانات موضوعة أفقياً، والتي استخدمت لوضع الموتى فيها، وقد علمنا بها موجودة في مقابر الدول المعاصرة لذلك العهد أيضاً، نحو بلاد الشام وفلسطين، وحتى في إيطاليا. ويدعون هذه التجاويف والسراريب الجدرانة Loculi و Catacombs، ويقولون إن الأموات وُضعت في هذه التجاويف بالجدران. وإذا لم يبق بها مكان لوضع ميت آخر، أخذوا عظاماً قديمة من أحد التجاويف وكوّموها وسط الحجرة. وقد مر ابن بطوطة بهذه الآثار في المائة الرابعة عشرة الميلادية وذكر في وقائع سفره أنه رأى عظاماً نخرة هشّة متواجدة في الحجرات المدائنية⁽¹⁷⁾. وبعد ابن بطوطة بخمسة مائة سنة جاء تشارلز داوتي ليزور هذه الأمكنة، وأشار إلى تواجد عظام مع أقمشة للتحنيط ورائحتها الكريهة⁽¹⁸⁾. أما الآن فلا نجد هناك أثراً للعظام عوضاً ولا لأقمشة موميائية. هذا، وقد رأينا حدوداً محفورة في أرضية بعض الحجرات. لكن هذه الحجرات كلها ليست متشابهة بعضها ببعض من الداخل والخارج. فبعض الحجرات تتضمن في حوائطها الأربعة

تجاويف عميقة رأسية مستطيلة الشكل، تبدو كصوانات بدون أبواب، ولا تبدو البتة أن يكونوا قد وضعوا فيها نعشا، لأنه من الممكن أن يقف رجلان أو ثلاثة متعاقبين في مثل هذا التجويف، ولكنه من المستحيل أن يلقى فيه شخص على جنبه أو ظهره أو بطنه. وهناك حجرات نجد في جدارها المقابل للخارج تجويفا، وفوق هذا التجويف رأينا في الجدران الأربعة أدراجا عميقة كبيرة. وفي بعض الحجرات تبدو هذه الأدراج العميقة كغرف جانبية، وقد نظن أنها للسكنى، ولكن ضيق الحجره يشير إلى كون هذا الأمر غير وارد، وقد تقول إن مجموع الحجره مع الغرفه الجانبية ضريح ملحد.

معظم التجاويف ليست بعميقة كثيرا. قد أشار داوتي إلى هذا الأمر كذلك قائلا بأنه من الصعوبة بمكان أن يسع تجويف ميتا واحدا⁽¹⁹⁾. أما الذين يرون أن هذه الحجرات للسكنى، والتجاويف فيها عملت لوضع الأغراض، فإنهم يقعون في الورطة حين يجدون مثل هذه التجاويف قد حفرت في الصخور خارج تلك العمارات أيضا، حيث لا تفسير لوضع الموتى فيها ولا تعليل لوضع الأغراض هناك. نمثل لذلك بالعمارة رقم 59 و رقم 101.

واجهات الحجرات (Facades) ليست بمماثلة بعضها لبعض ماثلة تامة. ففي كثير من الأحيان نجد على جانبيها أعمدة عريضة، ورؤوسها متأودة على نمط واحد، وهناك نتوء في وسطها كذلك. وعلى جانبي عتبة الباب نجد عمادين قصيرين ملتصقين بقائمتي الباب ويحمل كل منهما قوصرة (Pediment) على رأسه. وقد نحتوا على جانبي قاعدة هذا المثلث (القوصرة) زهرية، وفوق رأس القوصرة هناك طائر متحفز للطيران مبرز صدره. لكن رؤوس هذه الطيور مقطوعة كما قد وجدنا ذلك في الخزنة بالبتراء. عليه فلا يمكن أن نتبين نوع الطائر. وبما أن العرب القدامى كانوا يعتقدون أنه نوع من البوم الذي هو طائر الروح (ويسمونه هامة أو صدى كذلك)، فمن الممكن أن يكون هذا الطائر بوما، ولكن وجود رأسه على واجهة الحجره رقم 39 يمنع من القول بذلك، إذ إنه ليس رأس بوم البتة، وملامح وجهه لم تبق حادة على مر الزمن كذلك، فلا يمكن

تميزه ما إذا كان عقابا (Eagle) أو نسرا (Vulture). وفي رأي الدكتور إحسان إلهي أنه طائر وهمي أسطوري يسمى الققنس أو الفينيق (Phoenix) الذي يولد من رماد نفسه بعد موته احتراقاً، وهو رمز الخلود الذي هو قديم متجدد. وفي بعض الحجرات الأخرى لا نجد طائراً على واجهاتها، وإنما هناك زهرية منحوتة في مكان الطائر. وعلى رأس الطائر أو الزهرية هناك لوح لإقامة التوازن بين الجانبين، وهذا اللوح عبارة عن مربع بارز الجوانب. أما في بعض اللوحات (بالعمارة رقم 112 مثلاً) فهناك قبضة يدوية في كلا الجانبين من اللوح. وعلى واجهة الحجر رقم 29 نجد قبضتين اثنتين على كل من جانبي اللوح. وهناك كتابات محفورة في هذه الألواح المربعة بالخط الآرامي، بعضها محووة محوقة، والأخرى واضحة جلية يستطيع العارفون بالخط أن يقرأوها اليوم. أما بعض الألواح فلا شيء مكتوب عليها. أما بعض الحجرات فلا تحمل لوحاً ألبتة، وإنما نجد كورنيشا بسيطاً (ولكن رائعاً) في الجزء العلوي من الواجهة، وفوق ذلك هناك مثلثان يتكون كل منهما من نصف هرم على كلا الطرفين. وقد نحتوا في كل من الهرمين النصفين خمسة أدراج، وهو ما يسمى في اصطلاح فن العمارة Crowsteps. وقد نجد عدد الأدراج أقل من الخمسة في بعض الأمكنة. وفي بعض الواجهات لا نجد المثلثين المدرجين البتة، وإنما حل مكانها صفان من الأهرام الصغيرة الخمسة أو السبعة ذات أدراج، وعلى رأس كل من الصفيين هناك نصف هرم.

وفي بعض الأحيان لم يكونوا لينحتوا الواجهة إطلاقاً، حيث نرى في مكانها فتحة مستطيلة كمغارة في الجبل مثلما هو في العمارة رقم 116. كذلك نجد في الواجهات الأخرى تفاوتاً في التزين والزخرفة بالنحت، الأمر الذي يوضح أن الأسلوب المتبع الشائع بين الناس هو الزينة والزخرفة التامتان، لكن قلة الموارد المالية وعدم تهيؤ الوسائل جعلاهم ينحتون ما كان ضرورياً ويتركوا ما لم يتيسر. فلا نجد عند بعض الأبواب زينة الأعمدة والقوصرة ولا زخرفة الزهرية والطائر. وإنما الذي يوجد هناك هو لوح على كل من جانبيه زهرة ذات ست وريقات. وفي مكان آخر لم توجد الزهرة

على جانبي اللوح البتة. وبعض الواجهات قد تهدمت، والأخرى غير كاملة ومشيرة إلى أن النحت في الجبال والصخور قد بدأ من أعلى.

إن الألواح، المكتوب عليها عما يتعلق بالحجرات وما فيها، أهم شيء فيما يتعلق بتقرير أمر بأنها في أكثرها قبور. وسنفضل القول في ذلك بعد قليل. هذه الألواح مثقوبة أو هناك قطعة من الخشب في زواياها الأربعة، وقد توجد قطعة من الزجاج مسمرة في الخشب كذلك، الأمر الذي يشير إلى أنهم وضعوا في ما مر من الزمن الزجاج على الألواح للاحتفاظ بما كتب عليها. كذلك إنهم نصبوا سلام عريضة من الحديد للوصول إلى بعض الحجرات التي نحتت أعلى بكثير من الأخرى. لكن هذه السلام قد أزيلت ولم تبق لها بقية الآن. رأيت صورتها عند أحد أصدقائي الذي زار هذه الآثار قبلنا بستين. وسبب إزالة السلام، فيما نظن، هو وجود خلاف فيما بين علماء المملكة السعودية ومثقفها حول هذه الآثار.

عندنا أن هذا الاختلاف نشأ لما جعل اليونيسكو هذه الآثار المدائنية ضمن التراث العالمي. فكثير من أصحاب الحل والعقد السعوديين وافقوا على فكرة جعل هذه الآثار محطة نزول السياح مثل البتراء، وتوفير التسهيلات لسياحة هذا المكان. لكن الكتلة الأخرى المتكونة من علماء الدين السعوديين لا تنظر إلى سياحة هذه الآثار بنظرة استحسان، وهم يقفون هذا الموقف نظرا إلى ما جاء في صحيح البخاري ومصادر أخرى تروي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لما مر بمقام "الحجر" في سفره إلى تبوك، قال لأصحابه: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم". ثم لف رأسه بردائه وهو جالس في رحله، ومر بذلك الوادي بسرعة. وأكد كذلك ألا يأخذ أحد ماء من آبار هذا المكان إلا من تلك البئر التي وردت ناقة صالح (عليه السلام) للشرب منها. وأمر الذين أخذوا ماء من غير بئر صالح (عليه السلام)، وقد عجن بعضهم الدقيق بهذا الماء، أمرهم أن يريقوا الماء ويطعموا العجين الإبل.⁽²⁰⁾

يعتقد جمهور العلماء أن هذا المقام الذي يسمونه الآن مدائن صالح، هو أرض ثمود، ويرون قول الرسول وفعله المذكور منوطاً بها. وقد خالف الأستاذ سليمان الندوي الجمهور، كما سبق أن ذكرنا، بأن المراد بأصحاب الحجر هم نبطيون وليسوا ثمود. هذا، ولكن الروايات المذكورة، في وجهة نظره، ترتبط بمدائن صالح بالضرورة، والتي كانت قديماً سكن ثمود كذلك⁽²¹⁾. إن العلماء الأفاضل الكبار يزورون مدائن صالح الفينة بعد الفينة للبحث العلمي أو للاعتبار والاتعاظ، إلا أن موقف العلماء العام هو ألا يجعل هذا المقام مكان السياحة والفرجة، لكون ذلك مناقضاً لمغزى الأحاديث النبوية.

أما من الناحية الأخرى فهناك سؤال يطرح نفسه: هل المقام المذكور في الحديث هو مدائن صالح أم هو غيرها في ضواحيها؟ نشأ عندي هذا السؤال عندما قرأت عام 1970م في كتاب داوتي *Travels in Arabia Deserta* خطاب السير هنري رالينسون (Sir Henry Rawlinson)⁽²²⁾ الذي يقول فيه:

“Hejra in Ptolemy is a town of Thamud; yet MedainSalih we understand by the epitaphs to have been of the Nabateans! M. Salih is Hijr (Hejr) :- But what is Hijr? El-Hejr, in the tradition of country Beduins and the Alowna, is all that valley plain and valley ground lying between the Mezham and el-Ally (el-Ola), and as far as Bir el-Ghrannem. Now el-Khreyby is likewise el-Hejr :- the Khreyby we have seen is Himyaric or of the people from the south, M. Salih is of the northern civil world. We might thus conjecture that el-Khreyby is Hejra of Thamud, and the MedainSalih, 10 miles to the N., is the NabateanHejra.” (*Travels in Arabia Deserta*, 1/188).⁽²³⁾

قال رالينسون في هذه الفقرة المقتبسة من خطابه الوارد في كتاب داوتي إن بطليموس أشار إلى كون "الحجر" قرية في منطقة ثمود، في حين الألواح الموجودة على واجهات الحجرات في مدائن صالح تدل على كون هذه المنطقة (الحجر) للنبطيين. فما هو المراد بالحجر بالضبط؟ نعلم من رواية البدو الشفهية في نواحي المنطقة أن وادي الحجر يشمل العلاء ومزحم إلى بئر العَرَنَم، كما أن الخريبة تنضوي كذلك تحت لواء المنطقة نفسها. لكن الذي نعرفه أيضاً أن الخريبة تمت بصللة إلى حمير أو جنوبي الجزيرة العربية.

أما مدائن صالح فهي تتعلق بحضارة العرب الشمالية. ففيما نعتقد على ذلك أن الخريبة (El-Khreyby) هي الحجر الثمودي، وعلى مسافة عشرة أميال منها تقع مدائن صالح التي هي حجر الأنباط.

هذه القرية التي يدعوها داوتي ورالينسون "El-Khreyby" كانت مبعث تشويق لي منذ قرأت كتاب داوتي. فبحثت عنها فوجدت أن "الخريبة"، مصغر خرابة أو خربة، وتأتي بمعنى الخراب اليباب. وهناك كثير من القرى تسمى الحُرَيْبَة. وأشهر قرية مدعوة بالخريبة تتواجد قرب تبوك. لكن التي كنت أبحث عنها إنما هي خريبة العلاء التي تقع شمالي العلاء بأربعة كيلومترات. فإذا كانت هذه القرية حجرا في قديم الزمان، وهناك دلائل وآثار تدل على كونها حجرا ثموديا، فلا بد من استعراض إمكانيات أخرى لتثبت وتبين الحقيقة.

في اليوم التالي (الرابع من أكتوبر 2009م) غادرنا الفندق صباحا باحثين عن الخريبة ناحية الشمال. وفي جانبنا على الطريق كانت هناك سلسلة من الجبال ذات أشكال مختلفة ممتدة إلى مدائن صالح. وفي الجانب الآخر رأينا واحات مخضرة أحيطت بعضها بالطوب قديما، وما زالت بعض الحوائط قائمة كما كانت. وقد ذكر داوتي منطقة الواحات التي قطعها للوصول إلى رأس العين حيث كان ينبوع يتفجر على عمق خمس وعشرين قدما، ويخرج منه جدول. وقد وجدنا هذا الطريق المنعزل غير المرصف مهجورا بحيث لم نجد فيه إلا مركبة أو مركبتين خلال سفرنا. وسألنا بعض السائقين في الطريق عن الخريبة وأشرنا إلى الرواية الفولكلورية، هي مقولة "محب ناقة النبي صالح" التي كانوا يعرفونها وبسهولة يرشدون إلى مكانه. وكنت رأيت صورة هذا المحلب المنتسب إلى الناقة التي كانت معجزة للنبي صالح (عليه السلام). وعلى ذلك فهذه المنطقة لها علاقة بقوم ثمود. وقد رسم داوتي صورة المحلب في كتابه وأسماه "Naga's Milking Pail"، وذكر اسمه العام الرائج عند الناس "حلوية النبي" (The Prophet's Milk Bowl)، وهو، حسب الصور والرسوم التي رسمها داوتي،

كما سورة ضخمة مصنوعة من الخرسانة، تبرز من الأرض كالبئر، وفي داخلها هناك ثلاثة أدراج عميقة من الحجر. وقياس قطرها عند داوتي اثنتا عشرة قدما، وارتفاعها فوق الأرض من الخارج سبعة أقدام، وعرض الحائط حوالي ثلاث عشرة بوصة. وفي الجملة سماها داوتي Colossal Jurn أي الجرن الضخم.

الإشارة إلى "محبب الناقة" تكشففت عن كونها حيلة ناجحة، فأخبرنا بعض السائقين بمحجة الصواب. فتقدمنا ثلاثة كيلومترات على ذلك الطريق وبدأت تترأى العمارات المتقوضة المنهارة المنحوتة في الجبال الرهيبة التي يضرب لونها إلى الحمرة. وهذا المكان مضروب حوله السياج المربوط بسلاسل حديدية كما قد وجدنا الأمر بمدائن صالح. والطريق غير المعبدة تمر بجانب هذا المكان الذي توجد به الأشجار والآجام الصحراوية بكثرة. وكانت أمامنا فتحات في الجزء الأسفل من الجبال تبدو كنوافذ بدون مصاريع. وتحت ذلك بقليل نحو المنحدر نجد العمارة الخربة ترينا مشهد عماد ورواق منضغطين تحت حمل ثقيل. ورأينا في مكان حوضا ذا قسمتين بدا لنا كمورد المواشي. وفي مكان آخر كانت هناك لوحة منصوبة مكتوب عليها "مقبرة الأسود". (وجدنا في بعض الكتابات لفظة "أسود" بمعنى اللون الحالك مكان أسود جمع أسد، وهي غلظة من الكاتب أو الناسخ). كانت هذه المقبرة لا تُرى من خارج السياج، والظن الغالب أن المراد بها مقبرة هاني بن وهب الذي رأينا صورته في بعض الكتب. وفوق بابها قد نحتوا تماثيل بلا وجهين يبدو من مخالبتها وهيئة رأسها أسدان.

في مكان آخر هناك سلم لم يزل باقيا ملتصقا بالجبل للصعود إلى أبواب عالية للآثار، الأمر الذي يشير إلى كون هذه الآثار مفتوحة قديما للسياحة والفرجة. أما الآن فهي ممنوعة الدخول مغلقة تماما بالحاجز. مشينا والتحديد المسيح إلى أن وصلنا إلى بوابة مغلقة مكبلة بالسلسلة الحديدية، ورأينا داخلها غرفة مرصوفة بدت لنا كمركز للحراسة مثلما وجدناه بجانب بوابة مدائن صالح. بذلنا جهدا لمعرفة ما إذا كان هناك أحد في الداخل، لكن محاولتنا باءت بالفشل. وقد أئذروا ألا يقتحم أحد هذه المنطقة المسيجة،

كما وجدنا هناك لوحة مخدوشة قديمة عليها خريطة ترشد الناس كيف يصلون إلى مدائن صالح من ذلك المكان. وهذا أيضا يدل على كون هذه المنطقة مفتوحة للسياح في زمن سابق علينا. تبدأ الخريطة من "محلّب الناقة" بالقرب من البوابة داخل هذه الآثار، ولكنه لم يكن بمكنتنا أن ندخل البوابة المغلقة المكبلة.

كل واحد منا شعر في داخله بالذعر لما وجدنا الجو بالخرابية رهيبا خفيفا. وكانت العمارات المنهدمة المنضغطة تشير إلى العذاب الذي نزل على من سكنوها، وتؤثر فينا كذلك - نحن الزائرين هذا المكان - بشعور الدمار والهلاك. هذا المشهد العام ألقى في روعنا المهابة والخوف، ولعل بلدة ثمود التي دُمرت، والحجر التي - كما جاء في الحديث - مر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) خلال سفره إلى تبوك، هما نفس هذا المكان الذي كنا واقفين أمامه. هذا ما كان حوله التساؤل الذي طرح نفسه وألح علي منذ عام 1970م حين قرأت في رحلة داوتي خطاب رالينسون المذكور أعلاه. والمسافة بين هذه الخريبة ومدائن صالح هي عشرة أميال. لذا فمن الممكن جدا أن يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد مر بهذا المكان في سفره إلى تبوك. وإذا كان الأمر كذلك، فيكون قد مر (صلى الله عليه وسلم) ببلدة ثمود قبل مروره بمدائن صالح. وليس من نافلة القول أن هذه المناطق كلها سميت الحجر في الزمن القديم، وهناك دلائل وقرائن تشير إلى كون هذه المنطقة حجر ثمود وكون مدائن صالح حجر النبطيين كما ذكرنا. وبعد أن وجدنا بوابة حجر ثمود مغلقة مكبولة بسلاسل حديدية، تركنا ذلك المكان وعدنا، عائدين بالله من العذاب.

ثم توجهنا إلى مدائن صالح لنشاهد ما تبقى مما لم نشاهد من عمارات المدائن. والذي يتبادر من اسم البلدة أن هذه المنطقة معزوة إلى النبي صالح (عليه السلام)، لكن بعض الباحثين يقولون إن اسم صالح علم كذلك على شخصية بارزة منتسبة إلى بني العباس، وقد نسبوا إليه مدينة جديدة عمروها في جنوب العلاء، والتي كانت معمورة حتى المائة الرابعة الهجرية. وبعدها التبس الأمر على الناس وسموا منطقة الحجر مدائن

صالح⁽²⁴⁾.

مرة أخرى، كنا على طريقنا إلى مدائن صالح. قطعنا عشرة أميال للوصول إلى هناك، والجبال بجانب الطريق ترينا أشكال مختلفة كما فعلت سابقا. وما زالت الشمس مشرقة في كبد السماء، ولم يكن الزمن متأخرا. فدخلنا إلى عالم ينطوي على الغموض والإبهام. وأول ما وقعت عليه العين هذه المرة هو واجهة الحجر رقم 100. كانت مختلفة عن الواجهات الأخرى المتواجدة حولها، إذ كان مثلث قوصرتها (Pediment) يحمل على جانبيه تماثيلين لمخلوق وهمي قاعد على قدميه الخلفيين مقيما قدميه الأماميين كالأسد أو الكلب. ليس للتماثيل على الجانب الأيمن رأس على عاتقيه. أما التمثال على الجانب الآخر فله رأس يتواجد على متنه. وله على كلا الجانبين قمة حتى كواهله. قسامات الوجه محوطة، وهناك هوتان مكان العينين. وبالجملة يبدو من الوجه والشعر أنه وجه المرأة. ولمحنا في ذراعيها جناحين مثنيين إلى الوراء، إلا أنهما ليسا واضحين بسبب الانكسار والمحو. يعكس هذان التمثالان تصورا إغريقيا لأبي الهول (Sphinx)، وإن كانوا قد استخدموا له اسم Griffin، وهو أيضا يعني حيوانا خرافيا. وتحت مثلث القوصرة على ديباجة الباب هناك خمسة أزهار تزيينية، وإلى الجهة العليا على لسان المثلث هناك كرسي بارز كالسندان. لعلهم صنعوه لوضع السراج أو باقة أزهار. وعلى جانبي القوصرة بفصل بوصة أو بوصتين هناك ثقب لعلها أثر للمسامير المدقوقة التي نُزعت. وتحت الأدراج الخمسة (Crowsteps) العليا فوق الكورنيش قد نحتوا تصميم الجزء العلوي للأعمدة الأربعة. أما اللوح فهو منحوت في وسط التواء الأسفل للكورنيش، أي أعلى بقليل من مكانه المعتاد. وفي الصخور المحيطة على علو كبير وجدنا تجويفا واحدا على جانب وثلاثة تجاويف على جانب آخر لم نفهم غرضها. هذا الوصف والتفاصيل المتعلقة بالحجارة تجعلها مميزة متفردة.

أما واجهة الحجر رقم 92 فهي ممتازة منفردة كذلك. بابها بسيط غير مزين. والأعمدة على الجانبين عريضة ومختلفة في البناء، حيث لا يوجد على رأسها تصميمها

المعتاد. وفي مكان مثلث القوصرة هناك محراب في نصف دائرة وعلى كل من جانبيه وعلى رأسه نحتوا زهرية. وفي الطرفين الداخليين نوع من التجويف في شكل شرائح مقلمة. وفوق الكورنيش على جبهة الباب في وسط المحراب هناك زهرة ذات ست وريقات. أما الحجرة رقم 58 فهي كذلك مختلفة. لها فتحتان تبدوان بدون بايين كمغارة كبيرة وبينهما صخرة متكسرة تبدو كالعماد بين الفتحتين أو البابين. من الممكن جدا أن تكون هذه الحجرة أكثر قدما من الأخريات، ولذا فقدت ملامح الواجهة بسبب التآكل والتهدم. وهناك عمارات أخرى في هذا الجانب ترى فيها هدمًا وتخريبًا واضحين. وفي مكان آخر تكتل الجبل كمحراب عظيم فيه فتحات هنا وهناك كأفواه المغارات وليس كواجهات الحجرات.

وفي نفس هذا الجانب هناك محطة القطار التي أنشئت زمن الأتراك وهي في حالة جيدة، وهناك محرك بخاري واقف بها وهو في هيئة حسنة كذلك. المحطة والرصيف والعمارات المتعلقة بها كلها في حالة طيبة. ووجود هذه المحطة في مدائن صالح يعني أن القطار الذاهب بالحجاج إلى الحجاز كان يقف على هذه المحطة، والرؤية الدينية المانعة من الوقوف بمدائن صالح لم تكن قد ظهرت أو كانت غير قوية وقتذاك. ومن الممكن أنهم وضعوا الاعتبار والاتعاظ بمدائن صالح نصب أعينهم، وإلا كانت لهم حرية في اتخاذ مكان للمحطة قبل المدائن أو بعدها على طول السكة الحديدية.

ومن الآثار التي لم نشاهدها بعدُ حجرة نحتوا على ديباجتها صورة غريبة تثير الاندهاش. وهي صورة مخيفة لرأس إنسان وشعره ووجهه، وقد أخرج لسانه طويلا مبرزًا أسنانه كذلك. وفي مكان الشعر هناك حيتان متلويتان على جانبي الوجه. وعند داوتي أنهما ضفيرتان أو جمتان ذاهبتان إلى الطرفين، وقد رسم هذه الصورة في كتابه، كما وصفها في العبارة اللفظية كذلك:

“I found this head such as a comic mask, flat nosed and with a thin border of beard about a sun like visage. This sepulchral image is grinning with all his teeth and shooting out the tongue. The hair of his head is drawn out above either ear like a long ‘horn’ of hair-lock of the

Beduins.” (*Travels in Arabia Deserta*, 1/168)⁽²⁵⁾

أما الدكتور إحسان إلهي فيرى كذلك أنها صفيرتان. وقد أشار إلى نكتة جديرة بالتأمل هي أن هذه الصورة تشبه رأس ثلاث أخوات في الأساطير اليونانية اللاتية دعوهن Gorgons، واللاتية نبتت على رؤوسهن حيّات مكان الشعر. (وقد ذكروا في بعض المرويات أن لهن لحيّ كذلك). ومن ينظر إليهن يصبح حجرا. وكانوا ينحتون صورتهم فوق العمارات لدفع العين والبلايا. (رأينا في إنجلترا أنهم وضعوا أمام بيت نيوتن جمجمة أخبرنا الدليل أن الغرض منها أيضا دفع الشر). قال دادني إن هذه الصورة منحوتة على كثير من الحجرات في المدائن، إلا أنها قد انمحت في كثير من الأمكنة الآن. وما عدا هذه الواجهة التي ذكرناها فيما سبق، وجدنا حجرة أخرى نحتوا على جبهتها مثل هذه الصورة، والتي تحقت قسامتها، وعلى رأسها شعر كثيف يتدلّى على الجانبين ويصل إلى العنق مغطياً الأذنين. وفوق الشعر هناك حيّتان وسط الرأس مدينتان أفواههما بعضهما إلى بعض ومتلويتان بعيدا في الجانبين. نراهما منفصلتين عن الشعر، ولذا فلا يمكن أن نعتبرهما جميتين. وليس على هذه الواجهة شيء آخر غير هذه الصورة. لم نجد هناك زهرية أو طائرا ولا زهرة أو لوحة.

الحجرة رقم 37 بسيطة أيضا، إلا أن على جبهتها لوحة تحتها زهرة ذات ست وريقات في دائرة. وحول هذه الدائرة هناك حيوانان كل واحد منهما يرفع ذيله لأفأ طرفه وواضعا قدمه الأمامي فوق الدائرة. قيل إنها أسدان. وبالقرب من هذه الحجرة نجد هناك على باب الحجرة رقم 39 محرابا ذا تقوس فوق رأس العمادين، وقد نحتوا زهرية على جانبيه وعلى رأسه كذلك. وعلى جبهة الباب طائر له رأس سالم، والذي يقطع بأنه ليس بوما. قد يمكن أن ندعوه عقابا، ولكن منقاره مانع من القول بذلك، لأنه يشبه منقار الأوزة.

وعلى واجهة الحجرة رقم 37 وجدنا لوحا تذكاريًا أقدم من كل لوحة أخرى مؤرخة، وكانت مع ذلك في حالة جيدة. وليس صعبا أن نقف على أبجدية الخط النبطي

الذي يُكتب بالحروف الآرامية من اليمين إلى اليسار حرفا بحرف مصففا كالإنجليزية. وأصبح هذا الخط بعد ذلك مكتوبا بأحرف متصلة (Cursive) وصار خطا كوفيا، وبعده تشكل في صورة خط النسخ الحالي. ألواح مدائن صالح التي هي مؤرخة من سنة 2 ميلادية إلى 79 ميلادية، مهمة جدا فيما يتعلق بتطور الخط العربي. هذه التواريخ النبطية مكتوبة حسب عصور الملوك، نحو هذه اللوحة التذكارية التي تشير إلى العام التاسع من حكم الملك "حرتات"، والمراد به حارث الرابع كما قالوا، وزمن حكمه يبدأ من سنة 9/8 قبل الميلاد إلى سنة 40/39 ميلادية. وتاريخ هذه اللوحة هو سنة 2 ميلادية كما استخرج الحساب علماء الآثار. وبإمكاننا، بعد التعرف على الحروف الآرامية وتعلم الخط المذكور، أن نقرأ هذه اللوحة في أيامنا هذه بسهولة. تبدأ العبارة هكذا: "د ن هـ ك ف ر ا د ي ع ب د و ك م ك م ب ر ت و ا ل ت ب ر ت ح ر م و". هذا هو السطر الأول. وهناك اثنا عشر سطرا لم تسع اللوحة المعدة قبلا كل هذه السطور. السطر العاشر مكتوب على إطار اللوحة، والسطران الأخيران كُتبا خارج اللوحة، وهما تحتويان اسم الحفار. ومفاد هذه السطور:

"هذه المقبرة أنشأتها كمكم بنت وائلة بنت حرام وابنتها كلبية لنفسيها وذريتها في شهر طبة في السنة التاسعة من حكم الحارثة ملك الأنباط المحب لرعيته. وليعن ذو الشرى واللوات ومناة وقيس من يبيع هذه المقبرة أو يشتريها أو يرهنها أو يهبها أو ينش منها جثة أو عظاما أو يدفن فيها غير كمكم وابنتها وذريتها. ومن خالف ذلك كان مسئولا أمام "ذو الشرى" وهبل ومناة ويدفع غرامة تساوي ألف قطعة حارثية، إلا من كان عنده وثيقة من كمكم أو كلبية تنطق بأن فلانا يؤذن له بالدخول إليها" ----- "نحته وهب إلهي عبد عبادة".

مثل هذه العبارات تسلط ضوءا على نوع ومكانة وتاريخ هذه الحجرات. فلا مجال للنقاش والمشادة فيما يتعلق بما بُني على فرضية أن القرآن يثبت كون هذه الحجرات سكنية. قد أوضحنا فيما سبق أن كلمة "بيوت" لا تعني "مساكن" بالضرورة. فليس هناك نص من القرآن يدل على ذلك، واعتراضات المستشرقين لا تسترعي الانتباه إطلاقا

على نفس هذا الأساس.

خرجنا من ضواحي "قصر البنت" وتقدمنا إلى الجبال التي أسموها "أثلب" (أو أثلاب) حيث هناك ممر أو "سَيْق" (فجوة) بين جبلين مثلما وجدنا بالبتراء، غير أنه ضيق قصير بالنسبة إلى سيق البتراء. لكن منزلته عند أهل المدائن دينية مقدسة مثلما كانت عند أهل البتراء إذ نحتوا هناك محاريب تعبدية.

قبل أن ندخل إلى السيق يجب التنبيه إلى تذكّار أخير يقع على فم السيق هو "الديوان" أو "ليون" (إيوان؟)، والمراد به "مجلس"، وهو رواق ذو باب واسع منحوت في جبل إسفنجي مستدير، وقد نحتوا على كلا الجانبين عمادا بسيطا ولكن رائعاً. وفي ثلاثة جدران هناك دكة بارزة يمكن أن يجلس عليها كثير من الناس جنباً لجنب مع بعض. هذه العمارة ليست مقبرة بالتأكيد. لذا فقد بذلوا المجهود في بنائها من الخارج والداخل. فلم يتركوا السقف والجدران كالحجرات الأخرى خشنة غير مصقولة، بل سووها وجعلوها ناعمة نفيسة. وقد سقط الحجر وانهار جزء كبير من السقف. لكن الذي تبقى من ذلك فهو يشير إلى كونه مسوى مصقولاً لا يقل نفاسة وصلابة من الأُسْكُفَّة وما شابهها في العمارات العصرية. لم نتذكر أن نقيس الرواق. لذا فقد اعتمدنا على ما فعله داوتي من ذلك. عنده أن طول هذا الرواق إحدى عشرة قدماً، والعرض عشر أقدام. أما الارتفاع فهو خمس ونصف قدم.

دخلنا الديوان ووجدنا بجانب العتبة على اليسار أن طرف الدكة مكسور، ويبدو أن بعضهم كسروه عن قصد. رأينا على الدكة والجدران أسماء الزوار ونوعاً من الرسائل مقشورة أو مكتوبة بالحبر الأسود. في مكان قرأنا "عبد الكريم الشاعر"، وفي مكان آخر وجدنا أسماء "عمر"، "محمد"، "ناصر". وفي مكان رسموا إطاراً وكتبوا فيه "ذكريات". في بعض الأماكن أثبتوا الحروف الأولى من أسمائهم بالإنجليزية (Initials) نحو: A.F. و I.B. في مكان آخر رسموا صورة إنسان من قمة رأسه إلى أخمص القدم باللون الأسود. خرجنا من "الديوان" وتقدمنا إلى "السيق" الذي يذكرنا بالبتراء. لكن

الذي خالجه صدري هو سؤال طرح نفسه علي بمجرد استذكري ما نقله داوتي مما أرسله إلى رينان، فترجمه إلى الفرنسية، فأدرجه داوتي في كتابه *Travels in Arabia Deserta*. فأول لوحة فيه تتعلق بـ "مسجدا" الذي لم نجده حتى الآن. (الألف الأخير في مسجدا هي بمثابة الألف واللام تأتيان في أول الكلمة في العربية الحجازية والفصحى العصرية. فمسجدا هو المسجد، مكان السجدة أو المعبد). قد شاهدنا في يومين كل الحجرات المنحوتة المتواجدة بمدائن صالح تقريبا، لكن لم تقع أعيننا على "مسجدا" حتى الآن. كنت أو من بأن يكون هذا المسجد عمارة منحوتة في الجبال منفصلة بوضعه من العمارات الأخرى. والآن وقد وصلنا النهاية القصوى للحجرات الجبلية، كان من الطبيعي أن يلح علينا سؤال: أين "مسجدا"؟ سألنا بعض الأدلاء المصاحيين للسياح الأجانب، لكنهم لم يكونوا ليخبروا عن ذلك شيئا، ونظرهم إلى الآثار لم تكن علمية. فأشاروا إلى حصن على بعد بعيد فيه مسجد، في حين "مسجدا" كان يقع خلفهم في جدار السيق منحوتا كمحراب كما عرفنا فيما بعد. هذه الظاهرة مشتركة بين البتراء ومدائن صالح بأنهم نحوتوا محاريب للندور والقرايين في كلا المكانين، الأمر الذي يدل على اشتراك حضاري بين كلا الدولتين. قد نُحِت "مسجدا" في "سيق" بمحاذاة "الديوان"، وعليه لوحة مكتوب فيها:

- 1: هذا مكان السجدة الذي بناه
- 2: شكوح بن ثور لـ "أعرا"
- 3: الذي هو إله أعظم في بصرى، في شهر
- 4: نيسان، في العام الأول من حكم

الملك مالك

"نيسان" هو شهر أبريل، وقد استخرج رينان حسابا للعام الأول من اعتلاء الملك مالك (Malchus) عرش المملكة، وقال إنه عام 41 م حين نقشوا هذه اللوحة التي هي مهمة جدا فيما يتعلق بالآثار والعاديات السعودية.

كما سبق أن ألمحنا أن سيق المدائن ليس واسعا ولا طويلا بالنسبة إلى سيق البتراء. كذلك ارتفاع الجبال بالمدائن أقل منه بالبتراء. ونجد على جدران الجبال نفس

المحاريب التعبدية التي ذكرناها آنفا. وقد كتب الناس الزوار لهذا السيق "الله أكبر" على هذه الجدران وأسماءهم كذلك في كثير من الأمكنة. بإمكاننا أن نعبر السيق في دقائق. وعلى الجانب الآخر هناك خلاء وجبال عالية، فيها نحتوا المحاريب التعبدية أيضا. وهنا وجدنا أمامنا مكانا لصعود الجبل. وقبله بقليل رأينا طبقة متكسرة من الطوب منضدة على الأرض. وبالقرب منها أدراج قديمة رثة، وبعدها دكة بجنبها نحتوا بابا. كل هذا يشير إلى كونه بنيانا متهدما للعمارة الصغيرة.

أخذنا في صعود الجبل، وكان صعبا علي، فبدأت ألهث. أما ابني عامر فوصل إلى القمة وجاء إلينا ببعض الصور التي التقطها هناك. قد علمنا من الأدلاء السعوديين أن هذه الأدراج المنحوتة الصاعدة إلى الجبال ترشد إلى معبد. وهذا الأمر يتوافق مع قاعدة دينية عامة للأقوام القدامى أنهم يقدمون القربان في مكان أعلى. لما جاء عامر هابطا إلينا من الجبل، أخبرنا أنه ليس هناك مكان يشبه المعبد. لكن إحدى الصور التي التقطها كانت تشير إلى كون الصخرة الطويلة العريضة على قمة الجبل مسطحةً وبارزة يصلح أن تكون مذبحا للقرايين. من هذا المقام أردنا أن نعود إلى العلاء. وذكرنا أن العلاء هي كذلك مدينة قديمة تاريخية بها كثير من الآثار القديمة. وفي طريقنا وجدنا إعلانا (مكتوبا على لوح خشبي) يقول: "عاصمة التاريخ والآثار ترحب بكم".

العاديات والآثار دائما تشد القلب إليها. لكنه لم يبق لدينا وقت لها، لأنه لا بد من الوصول إلى جدة ذلك اليوم بقطع مسافة ثمانمائة كيلومتر. لكنني كنت متطلعا إلى رؤية مسجد رويوا أنه كان مقام الصلاة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فأنشأوا هناك مسجدا. خمنا عن مقامنا فوجدنا أنفسنا على الجانب المقابل من الآثار، فلففنا عابرين الرقاق ودخلنا إلى الجانب الآخر.

إنهم قد احتفظوا هناك بآثار لقرية قديمة، وقد وضعوا لوحا بعنوان: القرية التراثية (Heritage Village) وذكروا عليه معلومات تفصيلية بالعربية والإنجليزية عن القرية ومكانتها التراثية. هناك على ارتفاع الجبال في القرية آثار لحصن قديم، وقد

نسبوه إلى الفاتح الشهير موسى بن نصير. وعلمنا من عبارة منقوشة على الحجر أن المرحلة الأولى من مشروع بناء هذه القرية/البلدة من جديد بدأت في عهد الملك عبد الله، وتم ذلك يوم الأربعاء 21 من ربيع الأول 1430م الموافق 18 من مارس 2009م. وفي مكان آخر كان هناك لوح مكتوب عليه البلدة القديمة بالعلاء (*Al-Ula* Old Town) وعليه معلومات مفصلة مكتوبة بالعربية والإنجليزية كذلك، وهي تشير إلى كون هذه البلدة مشتملة على ثمانمائة بيت، وكانت لها أربعة عشر بابا والتي تغلق عند المساء وتفتح صباحا.

استعلمنا حارسا عن ذلك المكان حيث أدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) صلاته فأنشأوا مسجدا هناك، فأخبرنا أن هناك مسجدين في جوار ذلك الزقاق/الشارع. أحدهما يقع عبر الشارع وقد أغلقته الحكومة للترميم والإصلاح. كنا نستطيع أن نرى منذنته البيضاء من حيث وقفنا. أما المسجد الآخر فكان بالزقاق القديم الملحق، وكان أقدم من الأول. وقد طينوا الحائط الخارجي لهذا المسجد. أما رأس المنذنة فكان أخضر كما نجد مآذن المساجد في المملكة السعودية على العموم. تفضل الحارس بفتح باب المسجد. دخلنا المسجد صاعدا ثلاثة أدراج، وكان رحبا فسيحا من الداخل، وهناك أعمدة مربعة مطلية باللون الأبيض عند الأرض وبالأصفر فوقه حتى السقف الذي جعلوه من جذوع وقضبان خشب. كانت هناك مصابيح ومراوح كهربائية معلقة بالسقف. وعلى الأرضية المبلطة صفوف مفروشة عليها بسط زرقاء منقوشة. وجدنا في المحراب مكبر الصوت، وبالقرب من ذلك وُضعت رفوف. صليت تحية المسجد، ثم عدت مع العائدين إلى حيث أتينا. والأمر لله من قبل ومن بعد!

الهوامش

- 1- هو خورشيد الحسن الرضوي (د: 1942م)، أستاذ الأدب العربي المعروف في باكستان وفي الخارج. يقرض الشعر بالأردية والعربية، وله أربعة دواوين من الشعر الأردني إلى الآن (وقد نُشرت في شكل مجموعة كاملة باسم *كيجيا*). وله ديوانان آخران جاءا بعد نشر *كيجيا*. ظهرت الرصانة والتفوق منذ أول ديوانه الأردني المعنون بـ: *شايخ تها*، حيث اعترف بشعريته الشاعر الأردني الكبير *احمد نديم قاسمي* (ف: 2006م) والناقد الأردني الكبير *وزير آغا* (ف: 2010م)، كما أن له شعرا عربيا يدل على امتلاك ناصية القريض العربي وهو بعدُ يعيش في بلد غير عربي. اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. حقق الجزء السادس من *عقود الجمان لابن الشعار الموصلي*، كما قام بدراسة حول بعض جوانب العقود وعن حياة مؤلفه قدمها سابقاً لنيل درجة الدكتوراه مع تحقيق نموذجي لستين ورقة من الجزء الأول من الكتاب المخطوط. نُشرت له أخيراً سلسلة من المقالات حول الأدب العربي قبل الإسلام في مجلة *سويرا* الأردنية الصادرة في لاهور، (وهي منشورة الآن في شكل كتاب بعنوان: *عربي ادب قبل از اسلام*). وقد نُشر الجزء الثاني من الكتاب كذلك. تقاعد سنة 1995م كرئيس قسم اللغة العربية بالكلية الحكومية بلاهور. وقد عمل رئيساً لقسم الترجمة بمجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد أيضاً. منحته الحكومة الباكستانية وسام نجمة امتياز سنة 2009م. يعمل حالياً كأستاذ متميز (Distinguished Professor) بجامعة الكلية الحكومية (G.C. University) بلاهور.
- 2- زميل باحث بالمركز الإسلامي للبحوث والترجمة، باكستان، فرع كندا.
- 3- انظر الهامش رقم 20.

- 4- مغيراء أو مغيرا، قرية في المملكة العربية السعودية تابعة لمحافظة العلا التي تتبع منطقة المدينة المنورة، وهي حوالي 310 كيلو مترات شمال المدينة المنورة، وعلى بعد 20 كيلو مترا جنوب شرق العلا.
- 5- هو رينالد أليني نيكولسون (Reynold Alleyne Nicholson)، مستشرق بريطاني شهير، ولد عام 1868م وتوفي سنة 1945. كان أستاذ اللغة العربية والفارسية في جامعة كامبردج. وبجانب تأليفه تاريخ الأدب العربي، ترجم منظومة المثنوية للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي إلى الإنجليزية. كما ترجم كشف المحجوب للمتصوف الشهير من شبه القارة علي بن عثمان الهجويري إلى الإنجليزية كذلك. وله كتاب في التصوف الإسلامي على حدة. جاء إلى الهند البريطانية ودرّس في جامعة البنجاب (University of the Punjab)، وكان أستاذا للشاعر المفكر محمد إقبال، غير أنه تأثر بتلميذه وترجم باكورة إنتاجه الأدبي الفلسفي أسرار الأنا.
- 6- Nicholson, R.A., *A Literary History of the Arabs*, The University Press, Cambridge, 1953, p.3.
- 7- هو جوزيف إرنست رينان (Joseph Ernest Renan)، ولد عام 1823م وتوفي في 1892م. مستشرق فرنسي وعالم باللغات السامية، بالإضافة إلى كونه أول باحث فيما يتعلق بالدراسات حول أصل المسيحية المبكرة، كما انتقد الكتاب المقدس تاريخيا وعلميا ليتوصل إلى نتيجة أنه خليط من العناصر التاريخية والأسطورية، وهو مما أدى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته. من أشهر أعماله حياة المسيح، وتاريخ الشعب الإسرائيلي.
- 8- هو أستاذ اللغة والأدب العربيين، ولد عام 1911م وتوفي سنة 1989م. كان ابنا بارا للعالم والشاعر العربي والفارسي أصغر علي الروحي (1876 - 1954م)، كما كان أستاذ الدكتور خورشيد الرضوي أحد الأعلام البارزين في الأدب العربي في باكستان. قام بدراسة متأنية حول مختلف جوانب وفيات الأعيان لابن خلكان لم تُنشر بعد. وله

قريض عربي سائح، منه ما رثى به القائد المؤسس لدولة باكستان محمد علي الجناح
بكلمات موحية معبرة، يقول:

بعقوتنا غراب البين صاحبا أصاب الموت قائدنا الجناحا
إذ الناعي نعاه لنا صباحا علا صوت الجميع بوا صباحا
رمى الحدثنان قوم المسلمينا فلم يجدوا من القدر البراحا
وما من مسلم في الدهر إلا عليه بقلبه بكى وناحا

[إدريس، أحمد، الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، عين
للدراست والبحوث الإنسانية والاجتماعية، شارع يوسف فهمي، الهرم، مصر، ط1،
1998، ص60]

9- هو عالم ديني معروف في العالم الإسلامي، ولد في الهند البريطانية المتحدة عام 1903م
وتوفي سنة 1979م في دولة باكستان المستقلة. هو مؤلف تفسير شهير بالأردية **تفهيم**
القرآن. وله عديد من الكتب التي ترجمت بعضها إلى العربية أيضا. فتلقى حفاوة بالغة
في الدول العربية كذلك. وتوازي فكره مع فكر الشيخ حسن البناء وسيد قطب. وهو
مؤسس الحزب الديني السياسي "الجماعة الإسلامية"، وبذلك يعد أول من قام بإنشاء
حزب يجمع بين الدين والسياسة. وهذا ما كان موضع خلاف بينه وبين الأستاذ أمين
أحسن الإصلاحي (صاحب تفسير **تدبر القرآن**) وبعض العلماء الآخرين، حيث لم يتفقوا
معه في هذا الجمع بين السياسة والدين. سافر إلى بعض الدول العربية وتحول مشاهدا
آثار البتراء ومدائن صالح كذلك.

10- كان أستاذا في الكلية الشرقية بجامعة البنجاب. وله عديد من الكتب منها: **Why We**
Learn The Arabic Language، وقد أوضح فيه أهمية اللغة العربية من جهات
عديدة، و**Geographical Factors in Arabian Life and History** وتحقيق
اللغات. كان عالما بسبع لغات عالمية. توفي سنة 1979م.

- 11- كان أستاذا في الكلية الشرقية بجامعة البنجاب. ترجم البلاغة العربية بمصطلحاتها من العربية إلى الإنجليزية ترجمة أمينة في رسالته للماجستير وفي رسالة الدكتوراه كذلك. وبعد سنوات قدم رسالة أخرى للدكتوراه في جامعة كامبردج بإنجلترا عن حياة وأعمال ياقوت الحموي. ترجم عدة كتب في تخصصات مختلفة من العربية إلى الإنجليزية، منها كتاب الصيدنة للبيروني. تعلم اللغة الآرامية والنبطية وسافر إلى مدائن صالح وقرأ العبارات المنقوشة على الحجرات مغايرا في قراءته لبعض المستشرقين. توفي عام 1991م.
- 12- مجلة المنهل، مكة، صفر - ربيع الثاني، 1391هـ؛ مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد، فبراير 1972م. [رضوى، دكتور خورشيد، عربي ادب قبل از اسلام، اداره اسلاميات، لاهور، 2010م، ج1، ص56-57]
- 13- هو عالم ديني شهير في شبه القارة الهندية. ولد عام 1884م، وتوفي سنة 1953م. كان مؤرخا كذلك وترك عدیدا من الكتب في الدين والتاريخ. أكمل مشروع سيرة النبي الذي شرع في تأليفه أستاذه العلامة شبلي النعماني (1914م)، وكان وفق في تحرير مجلدين فقط إذ وافته المنية، فنمق البقية الباقية من السيرة سليمان الندوي ونشره في ستة مجلدات. وله خطب ألقاها في مدينة مدراس في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك. وله أيضا عرب وهند کے تعلقات أي العلاقات بين الهند والجزيرة العربية. ومن مؤلفاته خميام الذي قدم فيه عمر الخيام للقراء كعالم هندسة وفلك ورياضيات، ولم يحصره في رباعياته فحسب.
- 14- ندوي، سيد سليمان، تاريخ ارض القرآن، دارا لمصنفين، أعظم غر، 1336هـ، ج2، ص84-85.
- 15- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تهذيب وضبط: أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، 1933م، ج1، ص89.

- 16- انظر ما قاله مهذبو رحلة ابن بطوطة: "لما كلفتنا وزارة المعارف تهذيب رحلة ابن بطوطة .. وجدنا أنفسنا أمام عمل خطير، لما يقتضيه من بحث وتنقيب ومراجعة، لكثرة ما وقع في النسخ المطبوعة في مصر من تحريف وتغيير وتبديل، مما اجترحه جهلة النساخ في خلال تلك الأحقاب المتطاولة". [المصدر السابق، ج1، ص: ط]
- 17- المصدر السابق، ج1، ص89.
- 18- <https://archive.org/details/travelsinarabiad01doug/page/108/mode/2up>
- 19- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- 20- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، حديث رقم 433، 3380، 3381، 4419، 4420، 4702؛ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم 7465.
- 21- ندوى، سيد سليمان، تاريخ أرض القرآن، ج1، ص188، ج2، ص85.
- 22- هو اللواء السير هنري سيمور راينسون (Sir Henry Seymour Rawlinson)، كان ضابطا وقائدا في الجيش البريطاني لشركة الهند الشرقية. ولد عام 1810م، وتوفي سنة 1895م. كان رجلا سياسيا أيضا ومستشرفا كذلك.
- 23- <https://archive.org/details/travelsinarabiad01doug/page/188/mode/2up>
- 24- ابن جلدون (أحد الباحثين المثقفين السعوديين)، تغريد على التويتر في اليوم الخامس والعشرين من فبراير عام 2019، يقول: "ما نراه اليوم في مدائن صالح هي قبور ومدافن منحوتة في الجبال، وليست بيوتا. وهي تسمية حديثة للمنطقة. وقد جاءت التسمية بسبب وجود منطقة جنوب مدينة العلا كانت تنسب لرجل اسمه صالح زمن الدولة العباسية، فوق الخلط في الاسم مع نبي الله صالح".
- 25- <https://archive.org/details/travelsinarabiad01doug/page/168/mode/2up>